جمال الأسـلوب في القــرآن الكريـم ســورة القصص. أنموذجاً
دراســـة أسـلوبية

د. مصطفى سعد المارغني ـ جامعــة الزنتان ـ كلية التربية الزنتــان

The Beauty of Style in the Holy Quran
Surat Al-Qasas as a Model
(Stylistic Study)

Prepared by: Dr. Mustafa Saad Al-Marignee - Faculty of Education-
University of Zintan - Zintan

Abstract

The Quranic text is the highest linguistic text of all, the most noble, and the highest field for examining the phenomena and levels of language. This research aims to highlight the artistic aspects of the way Quranic style is presented in its most beautiful forms and expressions. Surat Al-Qasas also permits the researcher to study the stylistic aspect through the role of dialogue and the sequence of events, which occupy a distinct space in the Holy Surah. By examining the verses, it becomes obvious that the lesson is clear, teaching the polytheists the way Allah has sent messengers and responding to His opponents when they see their words as inconsistent, i.e., vulgar in their usual discourse. In narrating the events of the Qur'anic stories, the incorporation of meanings and the coherence of style are evident in all verses, despite their coverage of multiple topics.

The Qur'anic style is unmatched in its reliance on figurative language to express meanings and ideas, followed by the eloquence of limiting itself to narrating details and presenting interconnected scenes and moments, while omitting unnecessary scenes to enhance the imagery and ideas.

Keywords: Qur'anic Style - Surat Al-Qasas - Moses - Pharaoh - Linguistic Styles - Rhetorical Styles

الملخـــــص:

النّص القرآني أعلى نص لغوي على الإطلاق، وأشرف مرتبة، وأعلى ميدان لتناول ظواهر اللغة ومستوياتها، ويهدف هذا البحث إلى إبراز الجوانب الفنية في طريقة عرض الأسلوب القرآني في أجمل صوره وتعابيره، كما أن سورة القصص أتاحت للباحث دراسة الجانب الأسلوبي من خلال دور الحوار وتسلسل الوقائع الذي أخـذ حيّزاً مميّزاً

في السورة الكريمة.

لقد اتضح من خلال تتبع الآيات بيان العبرة، وتعليم المشركين سنة الله - تعالى - في بعثه للرسل والرد على معارضيه حين رأوا ألفاظهم متساوقة، أي: سوقيّــة فيما ألفوه من طرق الخطاب، وفي سرد أحــداث القصص القرآني يلاحظ تكامل المعاني وتجانس الأسلوب لكل الآيات على الرغم من تناولها موضوعات متعددة.

إنّ الأسلوب القــرآني لا يدانيه أسلوب في اعتماده الطريقة التّصويرية للتعبير عن المعاني والأفكار، ثم بلاغة الاقتصار على ســرد التفاصيل والعرض التمثيلي للقطات والمشاهد المترابطة، وحذف ما لا يلزم من المشاهد إذكاءً للتصوير والأفكار.

الكلمات المفتاحيـــة:

الأسلوب القرآني، سورة القصص، موسى - عليه السلام- ، فرعون أساليب لغوية، أساليب بلاغية.

المقدمـــــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، نبينا محمد عليه أفضل صلاة وأزكى تسليم.

وبعـــد

فإن الأسلوب القرآني إنما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله، ليس من ذلك شيء إلا وهو معجز، وليس من هذا شيء يمكن أن يكون معجزاً، وهو الذي قطع العرب دون المعارضة، واعتقلهم عن الكلام فيها، وضربهم بالحجة من أنفسهم وتركهم على ذلك يتلكّؤون ، وقد أثار القرآن الكريم في أساليبه الرسالية أكثر من أسلوب من أجل الوصول بعقل الإنسان وشعوره إلى الطريق الصحيح الذي يربطه بالله سبحانه وتعالى في أجواء تتحوّل فيها العقيدة إلى قضايا تمتزج بالإحساس والشعور، وتدخل فيها المشاعر الروحية في أجواء فكرية، فكانت القصة من بين الطرق التي سلكها القرآن الكريم في هذا السبيل، ولذلك يثبت لها ما يثبت لجميعه من إعجاز آياتها المشتملة على أسلوب القرآن التصويري المعجز في وحدة فنيّة رائعة (1).

ومن القصص القرآني تؤخذ العظات والعبر بما فيا من أسلوب التشويق الذي يتلقفه المتلقي بشغف ، فالبحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه ، عمل لا تنضب مادته ، ولا يقلّ زاده وجهد لا تضيع مساعيه ففي القصص عبر وعظات وتذوقُ لجمال النظم القرآني عامة والقصة على وجه الخصوص ؛ لما حوته من إعجاز البناء وجمال العبارة،

وبراعة الأسلوب، وعلى هذا النحو فقد كان السلف الصالح يتعلّمون وينهلون من كل ما من شأنه أن يغرس في نفوسهم تلك الصفات النبيلة ، اقتداءً بما جاء في محكم التنزيل من قصص الأمم السابقة لاسيّما الأنبياء والرسل عليهم السلام .

لقد جاء أسلوب القرآن الكريم المتميز عن غيره بهذه الطريقة عبر سرد قصص السابقين من الأنبياء والرسل؛ لتحقيق غايات متعددة منها:

إثبات الوحي والنبوّة، والموعظة والاعتبار، وبيان وحدة الرسالات السماوية، بما في ذلك بلاغة الاقتصار على سرد التفاصيل التي تخدم هذه الأهداف، جاء في محكم التنزيل قوله – تعالى -: **﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾** [يوسف: 111]

وفي هذا السياق ومن هذا المنطلق وقع اختيار الباحث على الموضوع الذي يتناول طرقة الأسلوب في العرض القصصي القرآني الوارد في سورة القصص المتمثل في قصة موسى ـــ عليه السلام ـــ مع فرعون بدءاً من ولادته، ووضعه في اليم، وإقامته في بيت فرعون وحواره مع ابنتي شعيب ـــ عليه السلام ـــ بالتركيز على الأسلوب البلاغي والصور البيانية للوصول إلى مزية القصة القرآنية وبلاغة أسلوبها وطريقة الحوار المتبادل، وما يخلف ذلك الأسلوب من أثر في النفس المؤمنة وذلك ابتداءً من قوله - تعالى - : **﴿ طَسَمٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْمُبِينِ ﴾ .**

وقد اقتضى البحث إتباع المنهج الوصفي والتحليلي في بعض الأحيان ، كما أن للمنهج التاريخي حضوره الواضح ، وتم الاعتماد بعد الله تعالى على جملة من المصادر والمراجع كان في مقدمتها القرآن الكريم ، ثم النكت في إعجاز القرآن للرماني ، ودلائل الإعجاز للجرجاني ، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، وسيكولوجية القصة في القرآن للتهامي نقرة ، وغير ذلك من المصادر التي تم الرجوع إليها ، ثم خاتمة تبين أهم النتائج التي خلُص إليها الباحث وقد تم تقسيم البحث إلى فصلين يتناول الأول التعريف بالسورة والثاني دراسة الآيات المتضمنة للأسلوب القصصي في السورة الكريمة دراسة أسلوبية بلاغية ، أما بقية الآيات فكانت سرداً دون التعرض لها بالتفصيل ؛ استكمالاً للنص القرآني ، وحتى يتسنى بعد توفيق الله تعالى الوقوف على مكمن جمال الأسلوب في القصص القرآني وبلاغة تعبيره وجمال إعجازه ، ويأمل الباحث أن يتحصّل على فوائد مرجوّة منها :

أن يكون إسهاماً في تطوّر دراسة الأسلوب القرآني وقيمته البلاغية، وإسهاماً في إثراء المكتبة العربية، وقد ذيّل البحث بقائمة المصادر والمراجع.

تمهيـــــــد:

إن في تكرار القصة الواحدة بألفاظ وأساليب متعددة تحقق في كل مقام أسلوباً يتّسق مع أسلوب القصة ونظمها من غير تنافٍ ولا تجافٍ، بل إن بينها من اتجاهات التناسق ما دعا علماء البلاغة إلى التحلّق جثوا على الركب للتزود من هذه الأساليب الباهرة والتسلّح بها في ميادينهم.

وتستغرق قصة موسى ــ عليه السلام ــ حيّزاً كبيراً من ســورة القصص، فمن بداية السورة إلى الآية (48) نجد حديثاً مستفيضاً عنه بأسلوب الحوار، وفي الآيات (75 ــ 82) يتحــوّل الحوار للحديث عن قارون، أي: أن معظم سورة القصص تتناول الحديث عن موسى ـ عليه السلام ـ وما يحيط به من أحداث، والحكمة في ذلك أن السورة الكريمة نزلت بمكة في مرحلة كان المسلمون فيها قلّة مستضعفة، والمشركون أصحاب الطول والقوة.

لقد شـاءت قدرة الله ـ جلّ وعلا- أن تجعل زوجة فرعون تطمع لفي أن يكون موسـى المولود لها تتبنّاه مع زوجها فقالت لفرعون كما ورد في التنزيل: **﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّـي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾** [القصص 9 .]

لقد عنيت السورة الكريمة من خلال سرد أسلوب سردي مشوّق بإبراز فترة تربية طفل رضـــيع وغريب في بيت كافر وجاحد لنعم الله تعالى ، وهي فترة تكشـــف عن تحدّي قوة القدرة الإلهية للظلم والطغيان ، وفيها يتجلّى عجز الكافر وحيلته وحذره عن دفع الحذر المحتوم ، فمن خلال تتبع مجريات الأحداث يلاحظ مرافقة العناية الربانية لميلاد ذلك الطفل في ظروف قاسية في ظاهرها كما تبدو للمتلقي بأسلوب يعبر ويصف حقيقة مجريات الأحداث المتتابعة بصـورة مغايرة في كل مرة بحسـب الحدث المرافق وفي كل حالة ينتقل المتلقي من صـــورة إلى أخرى عبر أســـلوب يقع على الذهن مع حاســة النظر وملكة الخيال وانفعال الشـعور ، ذلك ما يكشـف عنه الأسـلوب القرآني بجماله وتنوعه ، " وتكرار القصـــص يخدم غرضـــين : غرضـــاً فنيّاً يتعلّق بتنوع الأسـلوب إيراداً وتصـويراً من حيث طريقة العرض والإيجاز والإطناب ، وغرضـاً نفسيّاً بما له من تأثير في النفوس ؛ لأن المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية كما هو مقـرر في علم النفـس " (2)

المبحث الأولـ ـ وقفات بين يــدي الســـورة.

المطلب الأول ـ التعريف بالسورة، مكان نزولها، تسميتها، طريقــة العرض:

القـــرآن الكريم أطلق لفظ القصص على ما حدث من أخبار القــرون الأولى في مجالات الرسالات السماوية، وما يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال وبين مواكب النور وجحافل الظلال، وقيل " هي كشف عن آثار وتنقيب عن أحداث نسبها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد لهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها؛ ليكون لهم منها عبرة وموعظة " (3)

مكـــان نزولهـــا: سورة القصص مكيّة نزلت بمكة بعد سورة النمل، وعدد آياتها ثمان وثمانون آية، وفي قول جمهور التابعين إلا من الآية الثانية والخمسين إلى الآية الخامسة والخمسين، وفيها آية ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِے فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ** ﴾ قيل: نزلت على النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ في الجُحفة في طريقه إلى المدينة المنورة للهجرة، تسلية له على مفارقة بلده، (4)

ترتيب الســـورة: هي السورة التاسعة والأربعون في عداد نزول سور القرآن الكريم والثامنة والعشرون في ترتيب المصحف الشريف، نزلت بعد سورة النمل وقبل سورة العنكبوت، ولا يماثلها في عدد آياتها إلا سورة (ص) وعدد حروفها خمسة آلاف وثمانمائة حرف، وعدد كلماتها ألف وأربعمائة وكلمة واحدة (5)

تسميتهـــا : سمّيت بسورة القصص لوقوع الفظة (القصص) فيها عند قوله - تعالى - : ﴿ **فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ** ﴾ [القصص 25]، فالقصص الذي أضيفت إليه السورة هو قصص موسى ـ عليه السلام ــ الذي قصّه على شعيب ــ عليه السلام ــ فيما لقيه في مصر قبل خروجه منها ، وفي اللغة (قصص) قصّ أثره أي تتبّعه ، قال - تعالى- : ﴿ **فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصاً** ﴾ [الكهف 64]، وكذلك اقتصّ أثــره ، وتقصّص أثره ، والقصّة : الأمر والحديث ، واقتصصت الحديث : رويته على وجهه ، وقد قصّ عليه الخبر قَصصاً بالفتح ، والقِصص بكسر القاف : جمع القصة التي تكتب . (6)

والذي يبدو من خلال التعريف اللغوي أن التعريف الاصطلاحي للقصص يعني: أحاديث الأخبار الماضية، أو غير المرتبطة بزمن محدد، ولكنّها في القرآن الكريم دالّة على التاريخ الماضي حصراً.

طريقــة العـــرض: وفي طريقة العرض أضفى أسلوب التكرار قيمة بلاغية عمَد القرآن في كثيرٍ من المواطن إلى هذا الأسلوب؛ ليوثق المعاني في النفوس، فجاء تكرير

سرد القصة في سور مختلفة بصورة مغايرة في كلّ مرّة، بحيث يتكامل موضوع القصّة على الرغم من سردها في مشاهد ومواضع مختلفة.

وفي السورة موضوع الدراسة أخذت النصائح والعظات والعبر مكانها في ثنايا القصّة في عرض تصويري حي، وفي عرض تمثيلي للّقطات والمشاهد المترابطة، وحذف ما لا يلزم من المشاهد؛ إذكاءً للتصوير والخيال.

وردّ أسلوب الخطاب القرآني على معارضيه، ورأوا ألفاظهم بأعيانها متساوقة أي سوقية فيما ألفوه من طرق الخطاب وألوان المنطق بينهم، ليس في ذلك إعنات ولا معاياة، غير أنهم ورد عليهم من طرق نظمه ووجوه تركيبه، ونسق حروفه في الكلمات، والكلمات في جملها، ونسق هذه الجمل في جملته ما أذهلهم عن أنفسهم من هيبة رائعة وروعة مخوفة، وخوف تقشعر منه الأبدان؛ حتى أحسّوا بضعف الفطرة القوية، وتخلّف الملكة المستحكمة، ورأى بلغاؤهم أنه جنس من الكلام غير ما هم فيه.

الأسلوب القرآني بتركيبه اللغوي والبلاغي هو وجه الكمال ، بل هو السّر الذي يُفشى بين ألسنة العرب وإن كتموه ، ويظهر على ألسنتهم ويتبين في وجوههم ، وينتهي إلى حيث ينتهي الشعور والحس ، فليس من المؤاربة أو الخلابة وجه في نقص تأثيره وإزالته عن موضعه ، ومن استقبل ذلك بكلامه أو أراده بأي حيلة ، فقد استقبل رد النفوس عن أهوائها وردع القلوب عن محبّتها ، وحاول معارضة أقوى ما في النفس بأضعف ما فيها ؛ وهذا شيء لا يستقيم لأمرئ من الناس ببيان ولا عصبية ولا هوى ولا شيء منت هذه الفروع النفسية ، وليس إلا أن ينقض الفطرة فيستقيم له .

المطلب الثانـــي ـ الأغراض التي اشتملت عليها، أهداف الســورة:

أغراض القصّـــة: أظهرت القصة تأكيد الفلاح والصلاح في الدنيا والآخرة لمن يتّبع شرع الله – تعالى- ، ومن جانب آخر فقد كشفت عن أسوأ سمات وأعمال الكافرين ،وإبراز أسمى خصال وفعال المؤمنين، كما اشتملت على التنويه بشأن القرآن، والتعريض بأن بلغاء المشركين عاجزون على الإتيان بسورة مثله ، ثم جاءت مفصلة لما أجمل في سورة الشعراء من قول فرعون لموسى ﴿ **أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ سورة الشعراء : الآية 19.

ففصّلت سورة القصص بأسلوب بديع كيف كانت تربية موسى ـ عليه السلام ـ في آل فرعون وتفصيل ما أجمل في سورة النمل قال - تعالى - : ﴿ **إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّيَ ءَانَسْتُ نَاراً** ﴾ **سورة النمل: الآية 7** ، فكان الغرض تفصيل مرحلة الرحلة ومؤانسة النار

ووصف المكان الذي نُودي فيه بالوحي وغيرها من الأحداث، وهذا التفصيل فيه زيادة للمواعظ والعبر.

لقد اتّضح من خلال تتبع الآيات الواردة ببيان زوال ملك فرعون، ثم المقابلة بين حدّي الثواب والعقاب في الجنة أو النار، فما كان من نتاج ذلك هو صبغ كل المواضيع بصبغة الهداية والموعظة والإرشاد، ثم يأتي بعد ذلك التدرج في التشريع؛ لتعويد الناس على الابتعاد عن فواحشهم وما سبق في تلك القصة ما هو إلا للعبرة والموعظة؛ ليعلم المشركون سنة الله في بعثة الرسل ومعاملة الأمم المكذبة لرسلها وتحدّي المشركين عن ذلك، وجاء آخرها في الاحتجاج على أن القرآن من عند الله – تعالى-، وفي دفع ما عندهم من شبهة عليه .(7)

ومن **أغراضهـــا** أيضاً تكامل المعاني وتجانس الأسلوب والإيقاع لكل الآيات على الرغم من تناولها موضوعات متعددة ونزول آياتها في مناسبات متباعدة ، وهذا الأسلوب إنّما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله ليس من ذلك شيء إلا وهو معجز ، وليس من هذا شيء يمكن أن يكون معجزاً وهو الذي قطع العرب دون المعارضة ،واعتقلهم عن الكلام فيها وضربهم بالحجة من أنفسهم وتركهم على ذلك يتلكّؤون ، وقد كانوا يتساجلون الكلام ويتقارضون الشعر ويتناقضون في أغراضه ومعانيه حين لم يكن من الفرق عند فصحائهم بين فن وفن من القول إلا ما يكون من تفاوت المعاني واختلاف الأغراض وسعة التصرف ، وكان أسلوب الكلام عندهم قبيلاً واحداً وجنساً معروفاً ، ليس إلا الحر من المنطق والجزل من الخطاب ، وإلّا اطراد النسق وتوثيق السّرد وفصاحة العبارة وحسن ائتلافها ، فكانت تؤاتيهم الفطرة وتمدهم الطبيعة ؛ فنسق الألفاظ إلى ألسنتهم وتتوارد على خواطرهم وتستجيب فيهم لكل حركة من النفس لفظة المعنى الذي هو أصل هذه الحركة ، ثم لا تكون هذه اللفظة إلا كأنها خلقت لذلك المعنى خلقاً ، وأفرغت إفراغاً ، حتى لا يناسبه غيرها فيما يلتئم على لسان المتكلم ، ولا يكون في موضعها أليق منها في مذهبه ولحن قومه وطريقة لغته. (8)

كما تعــزز السورة غرضاً آخر، وهو التأكيد على أن الدنيا زائفة فانية، وأن الدار الباقية هي دار القرار (الجنّة) جعلها الله للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً، وأن العاقبة للمتّقين.

أهــداف الســورة: تهدف السورة إلى إثبات قدرة الله تعالى ورعايته للمؤمنين، فهو سبحانه المتفرّد بالحكم والقضاء، فقد آزر موسى ــ عليه السلام ــ وحيداً فريداً طريداً ونجّاه من بطش فرعون، وأغرق فرعون وجنوده، كما أهلك قارون وقومه.

كما تهدف السورة إلى بيان ما بين القصّتين والربط بأسلوب قرآني بلاغي ، فالآيات من (44 ــ 75) تعقب على قصّة موسى ـ عليه السلام ـ وتبيّن أين يكون الأمن ، وأين تكون المخافة ، وتجول مع المشركين الذين يواجهون دعوة الإسلام بالشرك والإنكار وخلق المعاذير والمبررات ، تجول معهم في مشاهد الكون ، وفي مشهد الحشر ، وفيما هم فيه من الأمر بعد أن تعرض عليهم دلائل الصدق فيم جاءهم به رسولهم الكريم ، وكيف يتلقّاه فريق من أهل الكتاب بالإيمان واليقين ، بينما هم يتلقّونه بالنكران والجحود وهو رحمة لهم من العذاب لو أنهم كانوا يتذكّرون .(9)

وتختتم السورة بالوعد والبشارة لرسول الله صلوات ربي وسلامه عليه بنصر الله تعالى له وبشارته برجوعه إلى موطنه الأصلي مكة فاتحاً منتصراً لإتمام انتشار دعوة الحق التي أُرسِل من أجلها لتعمّ أرجاء المعمورة، وبذلك يمتلك زمام الأمور في الجزيرة العربية، وانتقال مركز القوة من يد الشّر إلى الخير وإلى الأبد قال – تعالى-: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِے فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ** ﴾ [القصص 85]

المبحث الثانـــي ـ الدراســـة الفنيـــة:

المطلب الأول ـ الإطناب ــ المجاز ـ الاستعارة ـ الكناية:

مما لا شك فيه أن أسلوب القرآن الكريم أرقى وأعظم من العلوم الظاهرة التي تقف بأصحابها عند جودة الأسلوب ومتانته، وقوة السبك ورصانته، وإن سبب التميّز في القرآن أنه من مصدر غير مصادر كلام البشر، ومن ذات غير مخلوقة، لذا تميّز عن أساليب المخلوق. ففي قوله – تعالى - : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِے ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِے وَلَا تَحْزَنِےٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾ القصص: 7، فقد جمع الله تعالى في آية واحدة، خبرين، وأمرين، ونهيين، وبشارتين فالخبران هما: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ** ﴾ وقوله: ﴿ **فَإِذَا خِفْتِ** ﴾ ؛ لأنه لا يشعر بأنها ستخاف عليه .، **والأمران هما:** ﴿ **أَرْضِعِيهِ** ﴾ و ﴿ **فَأَلْقِيهِ** ﴾ والنّهيان هما: ﴿ **وَلَا تَخَافِے وَلَا تَحْزَنِےٓ** ﴾ ، وأما البشارتان : قوله عز وجل: ﴿ **إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾ وجملة ﴿ **إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ** ﴾ في موقع العلّة للنهيين؛ لأن ضمان رده إليها يقتضي أنه لا يهلك، وأنها لا تشتاق إليه بطول المغيب، وفيها إيثار الجملة الاسمية على الفعلية؛ لأنه لم يقل: سنرده ونجعله رسولاً، وذلك للاعتناء بالبشارة؛ لأن الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستمرار (10)

الإطنـــاب: وبه يتم الإيضاح بعد الإفهام ليُرى معنى صورتين مختلفتين أو " ليتمكن

في النفس فضل تمكن، فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوّقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التّفضيل والإيضـــاح " (11)

وورد في قوله - تعالى :- ﴿ **وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيۖ** ﴾ إطناب وهذا من أجمل أقسام الإطناب وهو: أن يذكر الشيء فيؤتى به بمعانٍ متداخلة إلا أن كل معنى مختص بخاصية ليست للآخر، فالخوف غـمٌّ يلحق الإنسان المتوقع، والحزن غـمٌّ يلحقه لواقع وهو فراقه والأخطار المحدقة به، فنُّهيت عنها جميعاً وأُمِنتْ بالوحي إليها.

المجـــــــاز: المجاز في اللغة " مأخوذ من جاز هذا الموضع إلى هذا الموضع ذا تخطّاه إليه، وهو ما أُريد به المعنى الموضوع له في أصل اللغة، فالمجاز إذاً اسم للمكان الذي يجاز فيه " (11)، وفي قوله- تعالى-: ﴿ **فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ** ﴾ أُسنِد الالتقاط إلى أل فرعون من باب المجاز، والملتقط الحقيقي هو إحدى النساء الحافّات به

الاستعـــارة: هي اللفظ المستعمل فيما يشبه معناه الأصلي لعلاقة المشابهة، أو هي استعمال اللفظ في غير ما وُضِع له لعلاقة المشابهة. (12)، كما في قوله – تعالى -: ﴿ **وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ** ﴾ القصص 9. فإنّ قرّة العين بردّها واستقرارها، فجعل استعارة عن الولد، وفي قوله: ﴿ **لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَنًاۗ** ﴾ استعمال اللام فـي **(لِيَكُونَ)** ورد على طريقة الاستعارة دون الحقيقة لظهور أنهم لم يكن داعيهم إلى التقاطه أن يكون لهم عدوّاً وحزناً، ولكنهم التقطوه رأفة به وحبّاً له، ولكن لمّا كانت عاقبة إيّاه أن كان لهم عدواً فشبّهت العاقبة بالعلّة في كونها نتيجة للفعل، فاستُعير لترتب العاقبة المشبهة للحرف الذي يدلّ على ترتيب العلّة تبعاً لاستعارة معنى الحرف إلى معنى آخر استعارة تبعية (13)

الكنايـــــة: الكناية في اللغة " أن تتكلّم بشيء وتريد غيره يقال: كنى عن الأمر بغيره: يكنّى كناية، وأصل الكناية ترك التصريح بالشيء وستره بحجاب ما مع إرادة التعريف به بصورة فيها إخفاء ما بحجاب غير ساتر ستراً كاملاً " (14)

قال- تعالى-: ﴿ **يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ** ﴾ القصص 4، فإنّ جملة ﴿ **وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ** ﴾ تشمل كناية عن سبيهنَّ واغتصابهنّ، وفي قوله: ﴿ **قُـرَّتُ عَيْنٍ** ﴾ كناية عن السرور، وهي كناية ناشئة عن ضدّها، وهو سخنة العين التي هي أثر البكاء اللازم للأسف والحزن.

الإيغـــــــال: هو أن " يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثمّ يأتي بالمقطع فيزيد معنىً آخر يزيد به وضوحاً وشرحاً وتوكيداً وحسناً، وأصل الكلمة مأخوذة من قولهم: أوغل في الأمر إذا أبعد الذهاب به " (15)، كما في قوله - تعالى - : ﴿ **إِن كِدتَّ**

لَتُبْدِے بِهِۦ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ القصص: 10 . في الآية الكريمة تصوير بياني بالرجوع إلى حال أم موسى - عليه السلام ـ ووصف لحالها قبل أن تضعه في صندوق وتلقيه في اليم، فالأمر من الصعوبة بمكان أن تباشر بنفسها إلقاء فلذة كبدها في اليم، وقد ظهر لها من جانب الخوف أن هلاكه محتوماً أو أقرب إلى الهلاك من احتمال ذبحه بأيدي فرعون وجنوده، ولنّ العناية الربّانية حاضرة في المشهد، فجاء الربط على قلبها بالثبات وتنفيذ ما أوحى الله تعالى لها به، وفي ذات الوقت مانعاً حصيناً من أن يظهر أمرها وتنكشف .

الالتفـــات: هو : " انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة، أو الانصراف من معنى يكون فيه إلى معنى آخر " (16) ففي قوله تعالى : **﴿ فَإِذَا ٱلَّذِے ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾** القصص : 18.فإن في قوله- تعالى- : **﴿ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾** التفات في الخطاب وتغيير في السّياق من الإسرائيلي والمصري لموسى ـعليه السلام ـ ومن جمال التعبير في اللغة العربية عامة ، والقرآن الكريم خاصة مجيء السّياق باللفظ ﴿ **يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾** ولم يستخدم لفظ آخر مثل يستنجده أو يستغيثه ؛ لأن طلب النجدة لا يناسب وهم ثلاثتهم في نفس المكان ، وكذلك طلب الغوث دعاء من قريب لبعيد ، فجاء السيّاق باللفظ **﴿ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾** الذي يناسب الموقف وهو اللفظ الذي استوفى اللفظ المراد ، والأقوى في الدلالة والمبنى ، كما إن اتحاد الحرفين (ص ، خ) ينتج جرساً موسيقيّاً يتمّم الأسلوب الذي يقع في ذهن المتلقي ويثير انتباهه ويجعله يتابع ويشارك المبدع بشغف واستمرار ، وهذا من جمال الأسلوب وروعته في القصص القرآني (17)

المقابلـــة: هي: " أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب " (18)، كما في قوله – تعالى-: **﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾** القصص 54. فإن الحسنة مقابلة للسيّئة، فازداد النص بها حسناً، وفي ذلك دعوة إلى مقابلة الشر بالإحسان، ولمّا كانت بعض النفوس جبلت على الاعتداء، فقد وضع الله سبحانه وتعالى علاجاً لمنعها من التمادي في غيّها.

الإشـــارة: " من غرائب الشعر وملحه، وبلاغة عجيبة، تدل على بعد المرمى، وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز والحاذق الماهر، وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصارُ وتلويح، وقالوا: مبلغ الإشارة أبلغ من مبلغ الصوت"(19) وفي هذا المعنى جاء قوله تعالى: **﴿ إِنَّ ٱلَّذِے فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾** القصص : 85 . ففي الآية الكريمة إشارة تتبعها بشار من الله تعالى إلى نبيه عليه الصلاة

والسلام برجوعه إلى موطنه الأصلي (مكـة) فاتحاً منتصراً ، فجاءت الآية بالتوكيد بحرف (اللام) فـ (لـرادّك) والوعد الصادق في البشارة ، فازداد النص بالتوكيد والإشارة حسناً وجمالاً ، وإذا كان ما أشار إليه ابن رشيق يختص بالشعر والنثر فيما يخص الإشارة بتلك الصفات التي ذكرها ، فكيف يكون ذلك الوصف إذا كان المشار إليه نصّاً قرآنياً ، وأسلوب القرآن الكريم وبلاغته قد أخرس فرسان اللغة وأساطين الكلام

الإيجـــاز : ومنه إيجاز الحذف الذي عرّفه البلاغيون بأنّه التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارات قليلة بحذف شيء من التركيب مع عدم الإخلال بتلك المعاني (20)

ففي قوله - تعالى - : **﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾** القصص 21 – 24.

الحذف في الآيات الكريمة مجموعة جمل إذ لو كان بدون حذف يقال : فذهبتا إلى أبيهما وقصّتا عليه ما كان من أمر موسى - عليه السلام – فأرسل إليه ... ولما كان سبب الإيجاز في الآيات الكريمة هو الحذف لذا سُمّي إيجاز حذف ، ومن جمال وبراعة الأسلوب قوله تعالى في ذات السياق : **﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾** فهذا نص إعجازي لا يتأتى نظمه أو ترتيب مثله للبشر وكذلك جميع النصوص القرآنية

ومن جمال الأسلوب أيضاً في نفس الآيات الكريمة السابقة نلاحظ حرف (الفاء) جاء مرتباً للكلام بعضه على بعض كما يلي : **﴿ فسقى لهما ﴾ ﴿ فقال ربي ﴾ ﴿ فجاءته إحداهما ﴾** وهذا من بلاغة القرآن الكريم .

المثـــــل : كلام موجز قصير يتداوله الناس فيه حكمة وموعظة في كثير من الأحيان ، والمثل " يُسْتعمل على ثلاثة أوجه : بمعنى الشبيه ، وبمعنى نفس الشيء ، وذاته وزائدة ، والجمع أمثال ، والمثل يضرب للشيء فيجعل مثله ، والتمثيل: تصوير الشيء كأنك تنظر إليه " (21)

وفي هذا السياق جاء قوله تعالى :**﴿ إنّ خير من استأجرت القوي الأمين ﴾ القصص 26**، فهذه الجملة القرآنية قد غدت مثلاً إلهيّاً ينطق به الناس ؛ للدلالة على اختيار القوي الأمين في العمل المراد له ، فصارت مثلاً لبلاغته وحسن دلالته .

الدّعـــــاء: من الأساليب البلاغية " إذا أُسْتُعْمِل في طلب الفعل على سبيل التضرّع والرجاء " (22). بألفاظ بليغة ، وقد ورد كثيراً في القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : ﴿ فقال ربّ إنّي لما أنزلت إليّ من خيرٍ فقير ﴾ **القصص : 24** فهذا النص دعاءُ علّمنا الله تعالى إيّاه على لسان موسى – عليه السلام .

الأمـــر: هو : طلب الفعل ممن هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى في المرتبة على سبيل الاســتعلاء، قال السّــكّاكي : " حقّه الفور؛ لأنه ظاهر من الطلب، ولتبادر الفهم عند الأمر بشـــيء بعد الأمر بخلافه إلى تغيير الأمر الأول دون الجمع وإرادة التراخي والحق خلافه؛ لما تبيّن من أصول الفقه " (23). قال – تعالى- : ﴿ **اُسْلُكْ يَدَكَ فِـي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ** ﴾ القصص32 ، فجملة ﴿ **اسْلُكْ يَدَكَ** ﴾ أمـــر إلهـــي صيغ صـــياغة بلاغية إعجازية ، فدلّ على جماليته في حد ذاته . وقوله تعالى: ﴿ **مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ** ﴾ **إضـــــراب :** وهو " ذكر شيءٍ قد يستقبح، إلا أن القرينة تدلّ على حسنه، أو الإعراض عن الشـــيء تركاً وإهمالاً بعد الإقبال عليه " (24)، فجاءت قرينة الاحتراز من البرص الذي هو بياضُ بسوء، وكذلك في خروج اليد بيضاء من غير سوء وضوحٌ للآية الكريمة، ونصـــاعة للدليل، كما أنه تصـــويرٌ للمعنى بأبلغ الصـــفات، وبهذا غدا النص تصويرياً بلاغيّاً لا يمكن أن يصل إلى كنهه عقل البشر.

تجاهـــل العـــارف: هو: " سؤال المتكلّم عمّا يفعله حقيقة تجاهلاً منه؛ ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو ليدل على شدة التذلل في الحب أو لقصد التعجّب أو التوبيخ أو التقرير، قال السـكاكين : هو سـوق المعلوم مسـاق غيره لنكتة " (25) قال تعالى : ﴿ **فَأَوْقِدْ لِـي يٰهَامٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَاجْعَل لِّـي صَـرْحاً لَّعَلِّيَ أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَـىٰ وَإِنِّـي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ** ﴾ **القصص : 38**، فإن جملة ﴿ **لأظنّـــــه** ﴾ تأتي بمعنى (لأوقنه) وهو تجاهل العارف ؛ لأن فرعون كان يعلم أن موسى ــ عليه السلام ــ من الصّادقين ، بدليل حكاية الله عز وجل عنه أنه قال في آخر عمره ﴿ **آمنت أنّه لا إله إلا الذي أمنت به بنو إسـرائيل** ﴾ يونس : 90 ، وفي جملة : ﴿ **فَأَوْقِدْ لِـي يٰهَامٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ** ﴾ إطناب ، والإطناب : البلاغة في المنطق مدحاً كان أو ذمّاً ، وأطنب في الكلام : بالغ فيه ، ومنا يلاحظ على النص سر الفصاحة وروعة الإعجاز ، فهل ترى أبدع من ذلك ؟ وأي عربي فصيح يسمع هذا النغم وهذا التركيب ولا يملكه حسّه ولا يسوغه حقيقة نفســـه، وتأمل كيف عبّر بالألفاظ مع قلقة حرف (الدال) الذي أضـــفى على التركيب جرساً موسيقيّاً، وما يتلوها من رقة الكلام، وليس الإعجاز في اختراع العبارة فحسب، بل ما ترمي إليه من إعجاز آخر وهو تحقير شأن فرعون، ووصف ضلالته، وتسفيه رأيه إذ وصل به الأمر لأن يحاول أن يبلغ الأسباب ويطمع في أن يطّلع إلى إله موسى ــ عليه السلام (26)

الاستثناء البلاغـــي: هو: " ذكر أمر ثمّ تخصيصه بغير صيغ الاستثناء المعروفة " (27) كما في قوله - تعالى -: ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ** ﴾ القصص:76 .

وأصلُ البغي: " مجاوزة الحد في الظلم والطغيان، والفئة الباغية هي الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام "(28)، فجملة: ﴿ **فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ** ﴾ استثناء بلاغي أخرج بها قارون من قوم موسى بغير أدوات الاستثناء المستخدمة في مثل هذه الحالات.

من كل ما تقدم هو محاولة الباحث إبراز بعض الظواهر البلاغية في سورة القصص، وتحليلها بإيجاز ما أمكن انطلاقاً من أن استخراج أي ظاهرة بلاغية في أية من آيات الذكر الحكيم ومحاولة تحليلها، إنما يتيح للكاتب أو المتلقي فهماً لجانب واحد أو جوانب متعددة من إعجاز تلك الآية الكريمة، فالظاهرة البلاغية كانت ولا تزال مفتاح إدراك الإعجاز.

لقطات تصويرية من جمال الأسلوب في سورة القصص: من فنون البلاغة وأحد أهم أوجه تشكيل التصوير البياني هو ما يعرف بالصورة البلاغية التي تواكب المبنى والمعنى الملفوظ الذي يظهر في صورة مميّزة وعُرّفتْ بأنّها: " التشخيص الذي يحسّه القارئ مصوّراً في ذاته عند قراءته نصّاً ما استناداً إلى الإبداع الفني في نقل النص المكتوب من عالم اللفظ والمعنى إلى عالم الصورة أطرها وألوانها " (29) ، وفي السورة الكريمة موضوع الدراسة تجلّت الصورة البلاغية من خلال براعة التركيب اللغوي المتفرد فأظهر بجلاء قوة إعجاز النص القرآني الذي أدهش فرسان اللغة وأساطين الكلام وصدق الله - جل وعلا- : ﴿ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ إِخْتِلَٰفاً** ﴾ النساء : 82.

وفي مشهد من مشاهد التشخيص تظهر فيه صورة (امرأة فرعون) وقد رقّ قلبها على المولود الغريب عنها ، وقلقها وشدة اضطرابها أمام فرعون وكبار قومه قال تعالى على لسانها : ﴿ **وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ القصص 9 ، مع علمها بأن فرعون لم يزل بغروره وطغيانه .، ولكن تشاء القدرة الإلهية أن يتولّى فرعون بنفسه تربية ذلك المولود وحفظه وخدمته ؛ ليعلم لمن التدبير ثم أتبعت الرعاية الربانية خروج موسى ــ عليه السلام ــ من أرضه ، فخرج منها خائفاً يترقب ، وما ناله من ذلك الخروج من السّعادة .

وفي قوله - تعالى - : ﴿ **وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ القصص 11 ، تظهر الصورة البلاغية الفنيّة المبدعة في لفظها وجرسها ومعناها وصوته الذاتي ذلك أن لفظة (قصّيه) لفظة مفتوحة على معانٍ متعددة (30) ، ومن الممكن أن نفهم منها (قص الأثر والنظر عن بعد) ويعزز ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن**

جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ القصص 11 .فجاء الأمر لأخته بأن تتقصّى الأخبار وتتتبّع الأثر براً وبحراً دون أن تكون في المواجهة **﴿ وَهُمْ لَا يَشْـعُرُونَ ﴾** أي ليس لهم شعور لا بنظرها ، ولا بأنها أخته بل هم في صفة الغفلة التي هي في غاية البعد عن رتبة الألوهية وصورة بلاغية في إظهار كمية الحنان المنبثق من قلب الأخت الحنون التي تبحث عن أخيها بأمر أمّها الوالهة من فقدها وهي صورة لا تتكرر في البيان ، فالإعجاز القرآني استخدم الفعل (يشعرون ونفيهما بـ (لا) لأن الشعور هو العلم الدقيق، و(يشعرون) أي لا تدركون بالحواس ودلالة (لا يشعرون) في هذا الموضع أبلغ من أي دلالة أخرى مثل (لا يعلمون) ؛ لأن العلم متحقق بعدم وجود شيء ما معروف في العقل ، وليس الشعور بشيء مادّي ، بل هو شي معنوي دقيق كل الدقة يؤثّر في نفس المتلقي .**(31)**

وفي الآية الكريمة : ﴿ **ما إن مفاتحه لتنوء بالعصـبة أولي القوّة** ﴾ **القصـص : 76** فبالتعبير المجازي أُسْـنِد النوء بالحمل إلى المفاتيح ، وفي الحقيقة أن الذي يحمل هم العصـبة أولو القوة ، فهو من المقلوب لفظاً ومعنى فالألفاظ ﴿ عصـبة ﴾ ﴿ أولي القوة ﴾ تنوء بهم المفاتيح الخاصـة بكنوز قارون ، وهذا الذي يراه المتلقي في ذهنه من خلال وضوح الصورة البلاغية بأسلوب بديع بليغ تظهر فيه براعة التصوير الفني في أبهى تعبير مصـوّر يلفت انتباه المتلقي ؛ ليرى أن المفاتيح كانت محور النص فتحققت بذلك نكتة بلاغية في التصوير البلاغي .

ومن خلال الآية في قوله تعالى : **﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾**القصـص: 79 في ذلك إظهار لصـورة سـيئة، صـورة التكبر والتجبر بخروجه على قومه الذين أذلّهم بطغيانه، وأُسْنِد الضمير (هـ) لقومه تمييزاً لهم عن المؤمنين، وقوله - تعالى- : ﴿ **فِى زِينَتِهِۦ ﴾** هذا اللفظ جامع لكل الزينة من اللباس والحلي والأموال التي يصـحبها شـعور التكبر والتعالي على الناس، وهذا التصـوير البلاغي يقف عنده عقل الإنسـان، فيدرك عجزه أمام قدرة الخالق جلّ وعلا.

وفي قوله - تعالى-: **﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾**القصـص 14 ، جاء الربط بين الفعل الماضـي (**بلغ**) ، والمفعول به (أشـدّه) ثم مجيء الفعل المضـارع (**اسْـتَوَىٰ**) ربطاً متكاملاً، وفي ذلك تصوير بلاغي متكامل الصورة يجسد هيأة موسى ــ عليه السلام - في اكتمال نضـجه، بحيث يشـعر قارئ النص أو السـامع أن هناك رجلاً مكتمل البنية والخلقة بدلالة الأفعال المتوالية والمتتالية.

وفي قوله - تعالى - : **﴿ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ ﴾** القصص 18 .يترقّب ، أي: ينتظر في حالة خوف والفعل (أصبح) والحال (خائفاً) صورة حزينة ونفس مضطربة

، وهي شدة أخرى تضاف إليه من أحوال الفرع التي مرّ بها ، وفي ذلك تصوير بلاغي لصورة إنسان ألمّت به الخطوب يلتفت يميناً وشمالاً يلاحقه الموت ، وعندما اشتد به الحال وضاقت عليه الأرض بما رحبت تأتي البشارة سريعاً من عند الله تعالى بأن بعث إليه أحد الناصحين له بالخروج إلى حيث الأمن والاستقرار الأسري ؛ لتكتمل البشارة مع قول الله تعالى على لسان نبي الله شعيب ـ عليه السلام ـ **﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾** .

وفي قوله - تعالى -: **﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾** القصص 25. في هذه الآية الكريمة مشهد تصويري غاية في الإبداع بحيث المرأة بكل معاني الحشمة والحياء والعفّة والتواضع كل تلك الصفات النبيلة دلّ عليها قوله تعالى: ﴿ **تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ** ﴾ وفي ذلك استعارة الفعل الحقيقي (**تَمْشِي**) ونقل (**عَلَى**) من الأرض المحذوفة إلى (**ٱسْتِحْيَآءٍ**) بالتنكير المشعر بفخامة القصد المراد.

فالمتأمل بعين البصيرة والتدبّر يلاحظ في قوله - تعالى -: **﴿ تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴾** أنه لا يجد لها نظيراً في أسلوب البشر القاصر في كافة التعبيرات الإنشائية البلاغية، ومن ذلك استعارة الشيء الحقيقي لمجازية الاستحياء مشعرة بالتصوير البياني الخاص بالصورة الفنيّة من حقائق السير على الأرض إلى مجازات الحياء بأنواعه، وبهذا كانت الآية الكريمة وكل آيات القرآن الكريم في قمة الإعجاز التصويري القرآني بما فيه من جمال الأسلوب وجزالة الألفاظ وسبك المعاني.

كانت تلك نبذة مختصرة وموجزة جداً عن بعض النماذج وقليل من كثير جداً من الصور البلاغية التي تُظهر جمال الأسلوب القرآني في أبهى حلله، وقد اقتصر الباحث على بعض النماذج على مستوى وعاء البحث، وخلاصة القول:

إن سورة القصص في ألفاظها ومعانيها تحتوي على ما يلمس مباشرة شغاف القلوب ومهج الأرواح ، بما فيها من معاني تنطبع في النفس الإنسانية عند قراءتها وتحليلها والوقوف قدر الإمكان على مكمن الإعجاز ، وتشد نفس المتلقي التنقل بين الألفاظ وبنيتها والمعاني وتركيبها ، وموقع الكلمات من الجمل وسياق التعبير داخل النص ومقارنة الألفاظ بمرادفاتها ، ومع كل ذلك يلاحظ المتأمل توجيه المعنى نحو الدلالة التوحيدية التي تزرع في النفوس العقيدة الصحيحة السليمة في أسلوب يرتقي إلى مستوى عظمة الخالق جلّ وعلا ومستوى البيان في قرآنه الكريم .

الخاتمـــة:

الحمد لله في البدء والختام، وفي ختام هذا البحث يمكن تلخيص ما توصّل إليه الباحث من نتائج أهمّها:

1- إن آيات سورة القصص تعبر كلماتها تمام التعبير عن مقتضيات واقع الحال المراد إبانته لمن أنزلت السورة في زمنهم وبين أيديهم في مكة.

2- يلاحظ على الأسلوب القرآني مرونة في التأويل ومطاوعة على التقليب بحيث لا يدانيه أسلوب من الأساليب، وكان العرب الفصحاء يدركون هذا التمايز في الأسلوب القرآني عن غيره من الأساليب.

3- من السمات البارزة للأسلوب القرآني هو اعتماد الطريقة التصويرية للتعبير عن المعاني والأفكار، والمميّزة في المحاجّة والاستدلال.

4- تشترك في التصوير القرآني مع الذهن حاسة النظر وملكة الخيال وانفعال السخرية وشعور الجمال، مع بلاغة الاقتصار على سرد التفاصيل التي تخدم أهداف القصة في القرآن الكريم.

5- جمال الأسلوب في سرد القصص على مستوى سورة مختلفة بصورة مغايرة في كل مرة، بحيث يتكامل موضوع القصة رغم سردها في مشاهد ومواضع مختلفة.

6- إقحام النصائح والعظات في ثنايا القصة والتنوع في استهلاك رواية القصة والدخول إليها.

7- جمال أسلوب العرض التمثيلي للقطات والمشاهد المترابطة، وحذف ما يلزم من المشاهد؛ إذكاء للتصوير والخيال.

8- القرآن الكريم هو البرهان العقلي على صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، لذا فهو معجزة باقية إلى أخر الزمان بخلاف المعجزات المادية لمن سبقه من الرسل، والتي هي حجة على من شاهدها وعاصرها فحسب.

9- مناسبته لكل الناس على اختلاف معارفهم وعصورهم، فيفهمه ويتأثر به ويتبعه العامة والخاصة، والبسطاء والعلماء، على امتداد الزمان وتتابع القرون.

10- تداخل معانيه وموضوعاته بحيث ترتبط في بناء متكامل متناسق يتعذر الاتيان بمثله بأسلوب خالٍ من التعقيد ومن التكرار إلا لغرضين:

التأكيد وما يصاحبه من تضخيم المعنى وتعظيم التأثير، أو لأجل تكامل الصور والأشكال التي يعرض بها الموضوع.

11- الإحساس بجلال الربوبية الذي يوحي به التعبير القرآني برمته، إذ يستحيل نفسياً أن يتصنع بشر تقليد هذا الأسلوب على امتداد نص بهذا القدر.

وختاماً: هذا ما تيسّر للباحث جمعه، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من تقصير أو خطأ فمن هوى والشيطان، والله الموفق وصلى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً

الهوامـــــــــش:

ـ القـــــــــرآن الكريـــــــــــم

1- سعيد مطاوع: الإعجاز القصصي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، ط 1 2006، ص 35.

2- التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، الشركة التونسية للفنون والرسم د . ط، 1974، ص 115 - 116.

3- عبد الكريم الخطيب: القصص القرآني في منظومه ومفهومه، د . ت، بيروت ص 40 .

4- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار طباعة الكتب العربية، بيروت، ج 1 ، ص 197 .

5- علاء الدين علي بن محمد إبراهيم المعروف (بالخازن) : لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2 ، 1955، ج 3، ص 423.

6- إسماعيل الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تح، أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين، ط 1 ، 1407 هـ، 1987، بيروت ج 3 ، ص 1051.

7- جعفر شرف الدين: الموسوعة القرآنية: خصائص الصور، تح، عبد العزيز عثمان النويري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط 1 ، 1420هـ، ج 6 ، ص 215.

8- عبد الرحمن السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ج 1، ص 111

9- جعفر شرف الدين: الموسوعة القرآنية: خصائص الصور، ص 213.

10- محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن صرفه وبيانه، دار الرشيد مؤسسة الإيمان ط 1، 1401 هـ، 1999م ، دمشق بيروت، ص 225 -226.

11- ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكتاب والمشاعر، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1955 - ج 2 ، ص 84.

12- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تح، عبد المنعم خفاجي، 1983، بيروت ص 155.

13- جلال الدين القزويني: شرح التلخيص في علوم البلاغة، دار الجبل، ط 3، بيروت، ص 339.

14- عبد الرحمن الميداني الدمشقي: البلاغة العربية، دار القلم، ط 1، 1416 هـ، 1996م، بيروت ص 135.

15- أبو هلال العسكري: الصناعيين، تح، علي محمد البيجاوي، 1406هـ، 1986م، بيروت ص 380.

16 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، تح، حنفي محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، 1957 م ، القاهرة، ص 58.

17 - محمد بن عمر الرازي: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، دار الكتب العلمية، ط1 ، 1421هـ ، 2000م ، بيروت، 12 / 236 .
18-جلال الدين القزويني: شرح التلخيص في علوم البلاغة، دار الجيل، د ت ، بيروت ، ص 163
19-ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر ، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، 1401هـ، 1981م ، بيروت ، ص 99 .
20 ـ حامد عوني : المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث ، ج 2 ، ص 133 .
21 -أحمد بن محمد علي الفيّومي الحموي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية ، بيروت، ج 3 ، ص 562 .
22 ـالخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1424هـ ، 2002م ، بيروت ص 118 .
23 ـ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 117 .
24 ـــــ محمد عبد الرؤوف المناوي : التوقيف على مهمات التعاريف ، تح ، محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، ط 1 ، 1410هـ ، دمشق ، بيروت ، ص 54 .
25 ـأحمد عبد الوهاب بن محمد عبد الدائم القرشي التميمي البكري النويري : نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية ، ط 1 ، 1422هـ ، القاهرة، ج 7 ، ص 123 .
26 ـ مصطفى الرافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ج 2 ، ص 154.
27 ـ محمد عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، ص 55 .
28 - محمد الصّـابوني: روائع البيان في تفسـير آيات الأحكام ، مطبعة الغزالي ، مؤسـسـة مناهل العرفان، ط 3 ، 1400هـ، 1980 م ، ج 2 ، ص 473.
29 ـ عطية فرج: البلاغة الحديثة، دار مصر العلمية، 1988 م ، القاهرة، ص 221 ـ 222
30 ـ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة (قصص) ج 7 ، ص 75.
31- محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسـير القرآن، دار المعارف، ط 2 ، 1972 م ، القاهرة، ص 38 .